سلسلة
المغامرين الاذكياء



الانتقام الرهيب

٢٢

دار النفائس

لئن كانت غاية القصة «البوليسية» جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا – في الغالب – العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب ، فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا «البوليسية» هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص ، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع ، والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحَضَّت عليها .

بالفخر الكبير ، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .



صدر من
« المغامرون الاذكياء »



المغامرون الأذكياء

الانتقام الرهيب

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
نعيم زرزور

دار النفائس

الطبعة الاولى : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
الطبعة الثانية : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

© دار النفائس

بيروت - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - برقياً : دانفايسكو

النسر الصغير

اجتمع شمل أعضاء فرقة الأذكياء ، وانضمت إليهم ماما سعاد لتشاركهم حبورهم واستعدادهم ليوم الاستعراض الجوي المثير ، وكان خالد أشدهم حبوراً ، فقد صفا الجو في ذلك الصباح ، وكان نسيم ناعم يداعب أغصان أشجار الحديقة المحيطة بالڤيلا الفخمة وقف خالد أمام إحدى النوافذ ، ينظر إلى السماء الزرقاء الصافية وقال :

« - إنه يوم رائع بإذن الله ،وأرجو أن تساعدنا الرياح على الفوز بهذه البطولة » .

كانت عيونهم ترمق خالداً ، وقد امتزجت نظراتهم بتساؤلات شتى :

- ماذا عساه يفعل اليوم؟ فهو «النسر الصغير» ومعقد آمالهم وآمال مدربيه كذلك ، ولا عجب ، فقد أثار دهشتهم وإعجابهم أثناء التمارين على الطيران الشراعي ، وبرهن أنه جدير بإعجابهم جميعاً لأنه استوعب بسرعة التعليمات اللازمة ، وكذلك أحاط بكل الظروف المؤاتية والصعوبات التي قد تعترض الطيار الناجح . . . وعندما أنهى عبارته تلك ، كانتْ ليلى أكثرهم فضولاً ، فاقتربت منه وسألته :

- وهل تؤثر الرياح على مجرى السباق ؟ . . . أعني هل لها علاقة

بالطيران ؟؟

أجابها خالد بثقة الخبير :

ـ الارتباط وثيق بين الطيران والرياح التي لها التأثير المباشر ، فهي تساعد على زيادة السرعة ، وتحديد الاتجاه ، وغيرها من الأمور المتعلقة بالطيران الشراعي بالإضافة الى مهارة الطيار كذلك . . .

كانت السيدة سعاد تحث خالداً على تحقيق الفوز بأسلوبها الخاص ، فقالت تستثيره وتنبهه :

ـ يبدو أن نسرنا الموعود يفتش عن الذرائع والمبررات قبل خوض المباراة ، فإذا ما خرج مهزوماً كانت أعذاره موجودة ! !

التفت اليها خالد وبادلها نظرة تعكس ثقته بنفسه ، وعزمه على تحقيق الفوز كعادته فيما يفعل ، ولم يتفوه بأية كلمة ، فيما كان الجميع يضحكون لهذا التعليق ، وكان أشدهم فرحاً وحبوراً ، ذلك الطائر الذكي ، فصيح ، فلم يتمالك نفسه من الهتاف :

ـ خالد بطل . . . خالد بطل . . . سرور غبي . . . سرور غـ . . .

لم يكمل عبارته الثانية ، فقد تخلى سرور عن وقاره ، وهب مسرعاً ليحكم قبضته على عنق فصيح الذي خانه تقدير الوقت المناسب للفرار من وجه خصمه الغاضب ، فصرخ مولولاً :

ـ أنقذوني . . . خالد . . . ليلى . . . ليـ . . .

وكاد يختنق وهو يردد اسم ليلى . . . وسرور يحكم قبضتيه حول عنق هذا الثرثار اللعين ، وقد ضمه إلى صدره ليخفيه عن أنظارهم جميعاً ، فيما كانوا يستغرقون بالضحك لهذا المشهد المتكرر دائماً . . .

كاد فصيح يجن من تصرفهم حياله ، فعاد يصرخ مولولاً ، بعد أن أرخى سرور قبضته لأنه يعرف عاقبة القساوة على صديقه اللدود ، فتقدم خالد منهما ونظر الى قرده الذكي نظرة عتب فهمها سرور ، وحرر عنق صديقه الذي طار بأسرع من البرق ليستقر فوق الثريا الفخمة المدلاة من سقف الغرفة . . .

كانوا يتابعون ما يجري أمامهم ، فقالت ليلى :

ـ سنسمع في الحال موشح السباب الذي يحفظه فصيح عن ظهر قلب . . . انظروا إلى سرور ، إنه يتوقع ، مثلنا ، سيل الشتائم من صديقه . . .

خاب ظنهم جميعاً ، فلم ينبث فصيح ببنت شفة احتراماً للمفتش جميل الذي حضر فجأة ، أسرع إليه سرور الذكي ، وأخذ يتودد إليه ، فنظر إليه المفتش الذي عرف معنى تصرفات سرور تماماً ، فقال :

ـ خير إن شاء الله ؟! . . لماذا هذا الملق ؟؟ . . .

بادرته السيدة سعاد بالجواب قائلة :

ـ وهل تجهل أساليب سرور عندما يتعرض لشتائم فصيح ؟؟

أجال المفتش جميل بصره باحثاً عن فصيح ، ولكنه لم يعثر عليه إلا بعد فترة جاثماً فوق الثريا ، نبهه إلى وجوده صفيره الحاد ، أدرك المفتش أن الحرب بينهما ما انتهت بعد ، ابتسم وناداه ملوحاً له بقطعة من السكر في يده ، تململ فصيح في مكانه ، ولكنه تشجع ونزل بعد أن هتف باسم سرور الذي سرعان ما صفح عنه ، وانفرجت شفتاه عن أسنان كبيرة بيضاء، وخطر في أرجاء الغرفة واضعاً قائمتيه الاماميتين في

جيبي سرواله . . .

نظر المفتش إلى ساعته وقال :

ـ يجب أن نذهب قبل الوقت المحدد ، سيكون الازدحام شديداً ، خصوصاً في موقف السيارات . . .

برهاناً على تمتعه بقدر من الذكاء الحاد أسرع سرور بمغادرة الغرفة . وعاد بعد قليل وقد ارتدى سرواله الأحمر الجميل ، وقبعته الحمراء ، وهذا ما اعتاد ارتداءه في المناسبات . . .

كان تصرفه هذا لافتاً لنظر المفتش الذي تأمله ملياً وقال :

ـ منتهى الذكاء . . . عظيم يا سرور . . .

جاء رد ليلى محذراً ، إذ قالت :

ـ لقد فهم من هذا الإطراء أنه سيصحبنا في رحلتنا . . .

قاطعها خالد ليقول ، وهو يتأمل قرده :

ـ سرور . . . إذهب الى الحديقة . . . هناك يمكنك أن تلعب وتلهو كما تريد . . .

وقبل أن يحتج سرور على هذا الطلب ، دوت في أرجاء المكان ضحكات فصيح الساخرة التي قطعها خالد عندما أكمل حديثه قائلاً :

ـ . . . فصيح . . . ستبقى أنت أيضاً هنا ولا تتجاوز الشرفة ، . . وإلاّ ! ! !

كان فينو يقف بينهم يلوح بذيله يمنة ويسرة ، فصدر عنه نباح مبحوح لفت نظر السيدة سعاد التي قالت :

ـ ما الذي ينقص لتكوين سيرك ؟؟

فاجعة غير منتظرة

كان النادي الذي ينتسب إليه خالد من الأندية المشاركة في مسابقة الطيران الشراعي الذي سيسبق المعرض الجوي للمحترفين ، وكان خالد أحد ثلاثة اختارهم النادي للكفاءة التي يتمتعون بها ، لذلك كان الترحيب بقدوم النسر الصغير حاراً ، مع أن المدرب عتب على خالد بقوله وهو ينظر الى ساعة معصمه :

ـ لقد تأخرت يا خالد . . . ألم أطلب إليكم الحضور باكراً ؟؟ . . .

أدرك خالد قصد المدرب ، ولكنه قبل أن يتكلم كان المدرب يتابع :

ـ أسرع بالانضمام إليهم حتى لا تفوتك آخر التعليمات . . .

تركهم خالد ومضى يصحبه مدربه ، وتابع الآخرون سيرهم الى ساحة العرض ليأخذوا أماكنهم في السرادق الكبير المخصص لهذه الغاية ، وبنظام وترتيب قادهم أحد المشرفين الى المقاعد التي تحمل أرقامها بطاقاتهم . . .

إلى جوار مقعد المفتش جميل كان مقعد شاغر أثار تساؤلات أعضاء الفرقة ، ولكن ظهور المفتش صفوت بدد قلقهم . . . وكما توقع المفتش جميل ، سرعان ما غص السرادق بالمتفرجين بغية مشاهدة

العـــرض السنـوي المثيـــر والـذي تحتشـــد فيـه أنـــواع مختلفـة من الطائرات . . .

كانت الطائرات جاثمة غير بعيد عنهم قبل بـدء العرض ، وكـانت محط أنظار جميع المشاهدين، بأشكالها وألوانها المختلفة لفتت نظر المفتش جميل طائرة فريدة في لونها وشكلها ، فقال معلقاً ، وهو يشير بيده ناحيتها :

ـ أنظروا إلى تلك الطائرة الشراعية . . . تلك الحمراء اللون . . .

نـظروا جميعاً إلى حيث أشـار ، ليروا طـائرة متميـزة بشكلهـا عن الجميع :

جناحان طويلان ، وجسم دقيق نسبياً . . . فقالت ليلى :

ـ لا شك أنها لأحد الطيارين المحترفين . . . على الأقل أرجو ذلك وإلاّ تضاءل نصيب خالد بالفوز . . .

أردف عصام قائلاً :

ـ بالتأكيد ، ليست طائرة شراعية ، . . .

كان عصام يريد أن يقول شيئاً آخر ، ولكن صوت المذيع قطع عليه حديثه ، ليعلن عن بدء الاستعراض ، كان يقدم كل طائرة بكلمة موجزة عنها ، شارحاً ميزاتهـا وقدراتهـا والشركـة التي تصنعها . . . الى مـا هنالك ، وكان كل طيار يقف إلى جانب طائرته ، فحين يعلن المذيع اسمه يستقل طائرته . . . واشترك طيارو الاختبار الأول بعرض رائع نال استحسان الحاضرين ، فارتفع صدى التصفيق في جو المكان الرحب .

انتهى العرض الأول، وتهيأت الطائرات الشراعية التي ربطت كل واحدة منها إلى مؤخرة سيارة خاصة تمهيداً لسحبها إلى منصة خاصة تساعد على إطلاق الطائرة الشراعية وكانت تشترك في كل مرحلة ثلاث طائرات يحسب لكل طائرة فيها الوقت الذي يستغرقه الطيار ، إضافة الى المسافة التي يقطعها ، قبل الهبوط في المكان المخصص له . .

بعد لحظات يسيرة كانت طائرة خالد في الأجواء ، تسبح في السماء فوق الجماهير المحتشدة ، وعلى ارتفاع مناسب يتيح له تأدية البرنامج المحدد ، وبخط عريض وبلون أسود ، ارتسم على الطائرة الرقم «٩» ، وهذا أفسح في المجال لمتابعة الحركات التي أداها خالد بخفة ومهارة دوت معها عاصفة من التصفيق . . . . هبطت الطائرات الثلاث ، الواحدة تلو الأخرى ، وكان خالد أول من خرج من طائرته والفرحة تغمر كيانه ، خصوصاً بعدما تقدم منه مدربه وضمه الى صدره بقوة وحنان اغرورقت معها عينا خالد بدموع الفرح . . .

كانت دموع الفرح تنهمر ، كذلك ، من مقلتي السيدة سعاد ، والدته ، ولا عجب فهي السيدة المرهفة الإحساس ، الرقيقة القلب ، فتأملها المفتش جميل ملياً وقال وقد رسم ابتسامة عريضة على محياه :

ـ كان عظيماً . !! .

كانوا جميعاً يهتفون بحياة خالد وكل منهم يعبر عن فرحته بطريقة مختلفة إلى أن انضم إليهم النسر الصغير يرافقه مدربه الذي ظهر على وجهه الارتياح والفرح . كان يسير ، وقد وضع يده على كتف خالد ؛

بكل فخر واعتزاز ، وقال يخاطبهم :

ـ كان نسراً عظيماً . !! .

عانقه أفراد الفرقة مهنئين بعد أن ضمته والدته الى صدرها بحنان وكذلك والده المفتش جميل وتقبل بعدها تهنئة المفتش صفوت ، ولكن المفتش جميل الساهر دائماً على مستقبل الأذكياء ، تساءل أمام المدرب :

ـ لقد أدى البرنامج المطلوب بمهارة ، ولكن هل يؤهله هذا للانتقال الى صفوف الدرجة الأولى ؟؟

جاء رد المدرب بثقة وبهدوء :

ـ إنه أفضل من أدى من الهواة ، إنه الفائز الأول بينهم ، إنما في الترتيب العام المشترك للهواة والمحترفين سوف تتراجع مرتبته قليلاً ، وهذا طبيعي ، ومع هذا يبقى أفضل من بعض المحترفين . . .

سأل عصام المدرب :

ـ هل تتخلل المهرجان عروض أخرى ؟؟

نظر إليه المدرب وأجابه :

ـ بالطبع ، من أجل إنجاح المهرجان ، قد استقدمت اللجنة المشرفة نخبة من محترفي الطيران الشراعي العالميين . . . سيكون عرضهم رائعاً للغاية . . .

انصرف المدرب ، فيما كان المشرفون على المهرجان يعدون للمرحلة الأخيرة منه ، وهي سباق المحترفين ، وصادف أثناءها هبوط

الطائرات الثلاث الأخيرة للهواة . أعلن المذيع الداخلي عن المحترف الأول ، فاتجهت الأنظار ناحيته لتشاهد عرضاً يأخذ بمجامع القلوب ، . . كان بارعاً مقتدراً ، يسيطر على حركات طائرته بمهارة فائقة استقبلها الجمهور ، عند هبوطه ، بعاصفة من التصفيق والهتاف .

وتوالى العرض ، وكانت عواصف التصفيق تدوي بعد هبوط كل طيار ، وأخيراً ظهرت الطائرة الحمراء ، وكانت قد شدت انتباه جميع الحاضرين من قبل ، وهنا هتف خالد قائلاً :

- إنها طائرة سويدية ، ويقال إن قائدها الطيار الشاب لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره ولكنه يعتبر من أفضل طياري العالم . . .

سكت خالد عندما ارتفعت الطائرة في سماء المهرجان ، وقام الطيار بحركات بهلوانية مدروسة أدهشت الحاضرين جميعاً ، ولا عجب ، فقد كانت مزودة بأجهزة من أحدث ما توصل إليه فن صناعة الطيران في العالم سواء في محركها أو في هيكلها ، وهذا ما ساعد الطيار على الانطلاق بها إلى علو لم يبلغه سواه، مع الاستمرار بتقديم الألعاب الجيدة . كانت الانظار متجهة إليها ، والألسنة تردد عبارات الاستحسان ، إنه ولا شك الفائز بجائزة هذا العرض حتى قبل إنهاء المرحلة الأخيرة والأكثر صعوبة في مراحل السباق ، حيث أن الوقت يحتسب بدقة للهبوط ، وهو على ارتفاع شاهق . . .

توقفت الأنفاس فجأة ، وهب الجمهور واقفاً دفعة واحدة . . . فقد هوت الطائرة باتجاه الأرض بسرعة مذهلة توقع الجميع معها حدوث أمرٍ



ما ، ولكنهم كانوا يعلقون آمالاً كبيرة على مهارة الطيار في تصحيح مسار طائرته ، ولكن القلق الذي استبد بنفوس الحاضرين عكسه حديث خالد عندما قال :

ـ ماذا حدث ؟؟ إنه انقضاض خاطيء ومميت ، فالطائرة ، مهما بلغت متانتها لا تتحمل ضغطاً كهذا ؟؟ ! . . .

حاول المفتش جميل الاقتناع برأي آخر ، حيث قال :

ـ قد يكون هذا جزءاً من أسلوبه في الطـ . . .

ولكنه توقف عن الحديث فجأة ، وعيناه تتابعان الطيار الذي ظهر أنه غير مسيطر على طائرته التي بدأت تتراقص بدون هدف . . .

وتوقفت القلوب عن الخفقان ، وكتم الحاضرون أنفاسهم ، فقد سيطر عليهم قلق غريب على الطيار ، وران على المكان سكون رهيب ، إنه سكون ترقب وانتظار ما يحمله المجهول ، ووسط ذهول الجميع ، صرخ رجل بأعلى صوته :

ـ يكفي هذا ! . . . اعتدل . . . يا إلّهي . . .

وقال آخر :

ـ إنه مجنون ، ولا شك . . . إنه يقتل نفسه ؟!

وسط ذهول الجمهور ، وفي غمرة هذا المشهد المثير ، كانت هناك فسحة من الأمل في قلوبهم تعكسها الثقة بقدرة هذا الطيار البارع على تعديل مسار طائرته والهبوط بها بسلام بعد أن يصل بها إلى الارتفاع المحدد للهبوط الجيد ، ولكن ما حدث كان رهيباً مفجعاً . . .

لم يتمكن الطيار من تعديل مساره والتحكم باتجاه الطائرة ، واستمرت الطائرة بانقضاضها السريع لترتطم بالأرض بعنف تعالت معها صرخة مدوية من حناجر جمهور المتفرجين تشبه هدير البحر الهائج . . .

التفت خالد إلى مكان والده ، فلم يجده ، لقد ذهب فوراً ، يتبعه المفتش صفوة متوجهين إلى مكان سقوط الطائرة ، فقد استقلا إحدى السيارات الخفيفة التي يسمح لها بالسير في باحة المهرجان بعد أن كشفا للسائق عن هويتهما ، وأسرعا إلى مكان الحطام .

صادف وصولهما قبل سيارات الإسعاف ليشاهدا الطيار وقد سكنت حركته ، مسكين ! نهاية مفجعة . . . كانت سيارات الإسعاف والشرطة تملأ المكان . وكذلك رجال المطافىء تحسباً لأي طارىء ، وبسرعة ولياقة فائقتين ، تعاون عدد من رجال الإسعاف على إخراج الطيار من مكانه ، فهتف أحد المسعفين متذرعاً بالأمل ، بعد أن أحس به يتحرك :

ـ إنه حي . . . يجب الإسراع بنقله إلى المستشفى . . .

كاد المفتش جميل بالقرب من الطيار عندما فتح عينيه وتمتم بحزن وبصوت متهدج ، مقطع النبرات .

ـ تيودور . . . لماذا . . . قتلتني . . لما . . .

وسقط رأسه ولفظ أنفاسه قبل أن يتم عبارته ، كان المفتش جميل ينصت بكل جوارحه إلى كل كلمة يلفظها الطيار القتيل ، بعدها اعتدل

في وقفته ونادى على رئيس قوة الشرطة التي هرعت إلى مكان الحادث وقال له :

- في الأمر جريمة . . . اضرب حصاراً حول المكان ولا تدع أحدهم يقترب . . . سأعود حالاً برفقة لجنة فنية .

لم يتساءل الضابط المسؤول عن شخصية المتكلم ، فقد عرفه وأدى له التحية العسكرية وانصرف بعدها يصدر أوامره للرجال الذين أحكموا الحصار حول المكان. . . من جهة أخرى انصرف المفتشان، جميل و صفوة ، إلى مبنى الإدارة وهناك اجتمعا بالمسؤولين وبينهم خبراء في الطيران ، وعلى الفور انتقلوا برفقتهم إلى مكان الحطام . . .

كان المفتش صفوت يعبر عن رأيه عندما قال بحضورهم :

- استناداً إلى ما سمعناه من الطيار المسكين يتضح أن الأمر مدبر . . .

أجابه أحد الخبراء مستغرباً ، بعد إجراء الكشف على الطائرة :

- عجيب . . . إن الهيكل لا زال متماسكاً بعد هذا الارتطام العنيف ؟؟. . .

ابتعد المفتشان عن الطائرة مفسحين في المجال أمام الخبراء لأداء مهمتهم بدون إزعاج ، واستغرقت هذه المهمة أكثر من ساعة عادوا بعدها ليقرروا أن الطائرة لم تتعرض لأي عمل تخريبي يسبب خللاً ما ، وأنها كانت سليمة تماماً من الناحية التقنية . .

سيطر الذهول على وجه المفتش جميل الذي استغرب هذا الكلام ، ووجم للحظات قال بعدها :

ـ شكراً لكم . . . أريد التقرير محرراً حال الانتهاء منه . . .

واستقل السيارة يرافقه المفتش صفوة ، وعادا إلى مبنى الإدارة ، واتجها مباشرة إلى جناح المشرفين على المهرجان ، كان تفكير المفتش جميل يبحث عن سبب لهذا الحادث المفجع ، وفي الغرفة المخصصة ، تقدم المفتشان ، وكشفا عن هويتيهما للآنسة المسؤولة التي بدا على محياها الحزن والأسف لما حصل لأنه يؤثر على سمعة المشرفين على المهرجان ويسيء ، كذلك ، إلى سمعة البلد المنظم له ، ويدون مقدمات ، بادرها المفتش بالسؤال :

ـ هل لديكم كشفاً بأسماء جميع المشتركين في المهرجان ، بالتحديد ممن قدموا عروضهم اليوم ؟ . . .

بحزن بالغ تناولت الفتاة ملفاً من أحد الأدراج ، وقدمته للمفتش جميل وهي تقول بصوت غلب التأثر على نبراته :

ـ هذا كشف بأسماء جميع المشتركين في المهرجان ومساعديهم كذلك . . .

قلَّب المفتش صفوة صفحات الملف وتوقف عند اسم الطيار القتيل ، وقرأ بصوت مرتفع .

ـ الطيار أرنست هانز . . . سويدي . . . مرافقه تيودور دافسكي . . . سويدي أيضاً . . .

أخرج المفتش جميل دفتر مذكراته الصغير من جيب سترته ، ودوَّن على إحدى صفحاته المعلومات الضرورية ، أعاد بعدها الملف إلى الفتاة ، وشكرا لها حسن تعاونها ، وغادرا المكان على عجل . . .

حادث أم جريمة ؟

كان وقع الحادث شديداً على السيدة سعاد ، وقد شاركها الأسف والحزن على مصرع الطيار الشاب غالبية الحاضرين في المهرجان . تصورت في لحظة من اللحظات ماذا يمكن أن يحصل لأي طيار ، وابنها طيار كذلك . . . في هذه الأثناء ، كان خالد قد هرع إلى مبنى الإدارة حيث اطلع من مدربه على ما حصل ، وعاد حزيناً ، كئيباً ، ليأخذ مكانه بين أفراد الفرقة الذين شاركوه حزنه . بعدها بلحظات ، انفجر بعصبية يتساءل :

ـ أكاد لا أصدق ما حدث . . . هل مات فعلاً ؟ . . . يا إلهي من كان يتصور ما حصل ؟ . . . إنه من أبرع طياري العالم في الطيران الشراعي . . . أكاد أُجَنُّ . . .

حاول عصام ووليد عدم مقاطعته لينفث الحزن الذي جثم على صدره ، ولكن ليلى حاولت حمله على نسيان صورة الحادث ، فوجهت الحديث وجهة أخرى علها تنجح في إخراج خالد من دوامة الحزن التي وقع فيها ، فقالت متسائلة :

ـ ترى ؟ لماذا ذهب عمي والمفتش عدة مرات إلى مكان الحادث ؟

أجابها عصام مؤكداً :

ـ صحيح ، وفي المرة الثانية كان يصحبهما عدد من الرجال . . .
هل سألت عنهم يا خالد ؟؟ . . .

رفع خالد رأسه ليظهر الحزن جلياً على محياه ، وبعد لحظة صمت أجاب :

ـ إنهم خبراء اللجنة الفنية . . .

أظهر خالد رغبة في السكوت ، لكن صوت وليد أعاده من شروده وأجبره على متابعة الحديث عندما سأله :

ـ هيه ، وماذا قررت اللجنة ؟؟

أجابه خالد :

ـ الغريب أنهم لم يكشفوا عن وجود خلل في الطائرة . . . قررت اللجنة أنها كانت بحالة جيدة وسليمة تماماً ! . . . وهذا ما يزيد الأمور تعقيداً ! ! . . .

انطلق خالد بالحديث على سجيته ، وطفق يحلل الأمور وسط حبور الآخرين لخروج خالد من حالة الحزن ، فتابع شارحاً :

ـ . . . لا يمكن تفسير ما حدث إلا إن كانت حالة الطيار غير طبيعية ، هل يعقل أن يكون قد أخطأ ؟ . . . أمر مستبعد الحصول ، إنه من أبرع الطيارين . . . قد يكون أصيب بعارض صحي ؟ أغمي عليه مثلاً ؟ . . . يمكن . . . ولكنه أمر مستبعد . . .

تدخلت ليلى في الحديث ، فقالت معلقة :

ـ إن احتمال إصابته بالإغماء أقرب إلى المنطق . . .

التفت إليها خالد ، وقال ينفي هذا الاحتمال ، وقد ضيق عدستي

عينيه ، وقطب حاجبيه ، وبإشارة من رأسه :

ـ هذا مستحيل . . إننا نخضع لفحص طبي دقيق قبل الطيران حرصاً على سلامتنا ، فقد كان بحالة جيدة وإلاّ ما سمحت له اللجنة بالطيران . . .

هز عصام رأسه ، وقلب شفتيه وهو يتساءل :

ـ كيف حصل الحادث إذن ؟؟

خرج وليد عن صمته عندما بادر خالداً بسؤاله :

ـ خالد ! . . . هل تعرفت على الطيار ؟؟ . . .

نظر إليه خالد متعجباً ، وأجابه بحماس :

ـ نعم . . . ولقد دعاني لتناول الطعام معه . . .

انهالت أسئلة وليد كأنما يحقق بقضية ما ، مما أثار استغراب الآخرين ، فهم لم يتعودوا سماع أسئلة كثيرة منه ، كان يسأل :

ـ هل يرافق الطيار مساعد كما هو شأن الطيران العادي ؟؟

نفى خالد هذا الأمر بهزة من رأسه ، وقال موضحاً :

ـ لا . . لا حاجة لمساعد في الطيران الشراعي . . . من يصحب الطيار ، عادة ، هو البديل عنه إذا احتاج الأمر . . . ويكون ، غالباً ، ميكانيكياً يعنى بسلامة الطائرة . . . وليد !! . . ما كل هذه الأسئلة ؟ ماذا تريد أن تقول ؟؟ . . .

ازدرد وليد ريقه ، وحك مؤخرة رأسه وقال :

ـ استبعدنا احتمالين لوقوع الحادث ولم يبق إلاّ احتمال أخير . . .

توقف وليد عن الحديث عندما لمح الدهشة في نظراتهم نحوه ، لم يكن مصدرها كثرة الأسئلة ، إنما كان صدورها من وليد ، وهو الذي عرف عنه البطء في ربط الأحداث واستخلاص النتائج بهذه السرعة ، عندها شرد ذهن خالد وسرح بأفكاره ، وراح يستعرض شريط الأحداث ، قد يحظى بنقطة ذات أهمية خاصة . . . بعد برهة هتف خالد :

ـ وليد على حق . . . قد أجد تفسيراً لما حصل . . .

وسكت من جديد فيما كانت عيونهم تنطق بسؤال واحد ؛ ماذا حدث ؟

ولما طال سكوته طالبته ليلى بالكلام عندما سألته :

ـ وكيف ؟؟

أجابها وهو ينظر إلى الأرض كمن يحدث نفسه مستعيناً بحركات من يديه ورأسه :

ـ تناولت الطعام . وكان من البيض ولحم الخنزير . . . أنا لم آكل معهما رغم الإلحاح الشديد من جانبهما . . . أنا لا آكل لحم الخنزير المحرم . . . ولكن لماذا ألحَّ المساعد على الطيار لتناول كل الطعام ؟؟ . . .

كانوا جميعاً يتابعون حركاته عندما توقف فجأة عن الحديث وقال :

ـ دعوني أتذكر ما حدث فعلاً . . . لا أريد أن أظلم أحداً . . .

ازداد اهتمامهم بما سمعوه وكان أشدهم حماساً السيدة سعاد التي

قالت له :

ـ خالد . . ماذا تخفي عنا ؟ هل هناك جريمة قتل ؟؟ . . يجب إخبار والدك بما لديك من معلومات . . وبسرعة . .

ولكن أين المفتش جميل الآن ؟ إنه في شغل شاغل عنهم ، فهو يتابع تفاصيل ما حدث ، فقد شك هو الآخر بحصول جريمة ، ولكن كيف ؟؟ . . . ولم ينقذهم من حيرتهم وذهولهم لما حدث إلا صوت أحد رجال الأمن قائلاً :

ـ السيدة أم خالد سيادة المفتش جميل يطلب منكم الانصراف إلى المنزل ، سوف يتابع القضية مع المفتش صفوت وقد يتأخر . . .

* * *

قلق وغضب . .

عادوا إلى المنزل وشبح الحادث المؤلم يسيطر على مشاعرهم ، وفي نفوسهم القلقة تزداد الرغبة في خوض مغامرة جديدة ، مغامرة تكشف عن مجرم حقير ، أو هكذا خيل إليهم . . .

كان خالد يتابع الحديث بمفرده وهو يتذكر ما رأى ، وما حصل له ، فقال بغضب :

ـ ولكن . . . ماذا رش المساعد في صحن الطيار ؟ هل هو نوع من السم ؟ قد يكون نوعاً من المخدرات ؟ . . .

كانوا جميعاً ينصتون إلى حديث خالد عندما انتفض من جديد وأردف متابعاً :

ـ كدت أكون الضحية الأولى لهذا المجرم لو نجح في إغرائي بتناول الطعام من هذا الصحن المشؤوم . . . ولكن لماذا ؟؟ ما الدافع ؟؟ . . .

توقف حديث خالد عندما دوى في أرجاء القاعة رنين جرس الهاتف ، وكانت ليلى أقربهم إليه ، فالتقطت المسرة وقالت :

ـ آلو . . . من ؟ عمي جميل ؟ . . . نعم . . . نعم إنه بجانبي . . .

وناولت سماعة الهاتف إلى خالد الـذي هب من مكانـه مسرعـاً . وبلهفة قال :

ـ بابا . . . أعتقد أنني توصلت إلى . . . .

وسكت خالد ، فيما كان يصغي بانتباه إلى حديث والده الذي قاطعه ليسرد على مسمعه بعض الأخبار المتعلقة بمقتل الطيار الشاب ، وبعد وقت قصير أجاب :

ـ ستجد عندي معلومات تؤكد صحة التحليل ، وقـد ترشـدنا إلى الجاني . . . نحن بانتظارك . .

أعاد السماعة إلى مكانها ، وبهدوء عاد هو الآخر إلى مكانه ، وبعد أن استوى في جلسته قال لهم :

ـ ثبت بعد تشريح الجثة أن الطيار تناول كمية من مخدر قوي بطيء المفعول ، وهو السبب فيما حصل له . .

كان لوقع الخبر على أسماعهم وقع الصاعقة ، فاعتراهم الـذهول وهم يفكرون في الدوافع لهذا العمل الإجرامي ، واحتاروا في تحديد الجاني ، وأول من تحدث كانت السيدة سعاد التي عبرت عن أسفها بقولها :

ـ ياللفتى المسكين ؟ لماذا قلتوه ؟؟

أجابها عصام :

ـ لا بد من وجود أسباب عمقية الجذور فيما حصل ، فهو فتى حديث السن وأستبعد إقدامه على ما يوجب الانتقام منه . . .

كان وليد يفكر في إتجاه آخر ، فقال :
ـ قد تكون الشهرة التي نالها سبباً في التخلص منه . . . .
قاطعت ليلى وليد لتقول موافقة :
ـ صحيح . . . قد يقدم أحد منافسيه أو حساده على الكيد له . . . .
كانت أفكارهم تتجه في اتجاهات شتى ، ولم يوقف حوارهم إلا نهوض فينو من مكانه ، وإسراعه نحو الباب ، فقال خالد :
ـ وصل بابا . . . قد نعرف منه ما حصل . . .
بعد هنيهة ، دخل المفتش مرهقاً تعباً ، وتراخى على المقعد المخصص له إلى جانب السيدة سعاد ، التي قالت :
ـ هل تسمي هذا اليوم « يوم راحة » ؟؟
ابتسم المفتش جميل وأجابها :
ـ إنني أتساءل دائماً : لماذا قبلت الزواج من مفتش في المباحث ؟؟
اقترب خالد من مقعد والده وسأله بحماس ولهفة :
ـ ألا تريد معرفة ما لدي من معلومات ؟؟
تفرس فيه والده ، ورفع حاجبيه وهو يقول :
ـ بالعكس ، يهمني كثيراً أن أسمع ما عندك . . .
سرد خالد على مسمعه تفاصيل ما حدث أمامه بين الطيار القتيل ومساعده الذي لا يعرف اسمه ، إلى أن أنهى حديثه بالقول :
ـ . . . وكان المساعد يلح عليه لتناول الطعام الذي رش عليه نوعاً من البهار الأبيض ، أو هكذا خيل إلي . . .

عبر المفتش عن إعجابه بدقة الملاحظة والاهتمام بما يحصل أمام ابنه خالد ، وأردف قائلاً :

- إنها شهادة تستحق الاهتمام خاصة بعد أن وصلت إلى دائرتنا المعلومات التي طلبتها من مباحث السويد عن المدعو تيودور ، وهو اسم مساعد الطيار المغدور ، وهذه المعلومات حافلة بما لا يشرفه . . . هل أدل على خبث نواياه من انتحال صفة ميكانيكي بسيط وهو المهندس المتخصص في حقل الالكترونيات ؟ ما معنى التحاقه بمثل هذا العمل البسيط لو لم يهدف القيام بعمل معين ؟؟ القتل مثلاً ؟؟

بدت الدهشة على وجه السيدة سعاد التي قالت :

- ولكن ما السبب ؟ . . . ولماذا اختار بلدنا لتنفيذ جريمته البشعة ؟؟ . . . لا بد أن الدافع عميق ليلحق به إلى هنا . . .

أغمض المفتش جميل عينيه ، وشد انتباه الجميع قبل أن يقول :

- كل ما أستطيع قوله بالنسبة للأسباب هو وجود خلاف قديم لا نعرفه بين تيودور والطيار ، ولا يمكننا التكهن بماهية هذا الخلاف . . . كل ما أعوّل عليه هو التحقق من خلفيات التقارير التي طلبنا الحصول عليها عن حياة تيودور ، قد تسهم في توضيح أمور غامضة في القضية . . .

غيرت ليلى اتجاه الحديث عندما قالت بحنان وهي تنظر إلى عمها المفتش جميل :

- يبدو على وجهك الإرهاق الشديد . . . ألا ترغب في الاستراحة بعض الوقت ؟؟ . . . .

أجابها وابتسامة عريضة تزيّن محياه :
ـ لديك حق ، فأنا بحاجة إلى الاسترخاء بعض الوقت أكثر من حاجتي للنوم . . .
تناول وليد طرف الحديث مضيفاً جواً من المرح عندما قال :
ـ إذن سأصنع لك فنجاناً من القهوة ليساعدك على الاسترخاء والتركيز . . .
فتح المفتش عينيه بدهشة ونظر إلى وليد وقال :
ـ قهوة ؟ . . من صنع يديك ؟؟ . . . .
كان حديث وليد مثار تعليقات شتى ، فقال عصام :
ـ يجب أن تكون فدائياً حتى تقبل تناول هذه القهوة يا عمي . . .
ارتفعت ضحكاتهم في أرجاء المكان ، ولكن دخول المفتش صفوت ، وحديثه إليهم نبههم إلى وجوده عندما قال :
ـ أما أنا فأقبل أن أكون فدائياً يخوض هذه التجربة . . .
أنهى المفتش صفوت عبارته ، وارتمى على المقعد المجاور لمقعد المفتش جميل الذي بادره بالحديث قائلاً :
ـ أهلاً صفوت . . . كان يوماً شاقاً فعلاً ! من كان ينتظر حصول متاعب في يوم كهذا ؟؟ . . .
أجابه المفتش صفوت :
ـ فعلاً ، ولكننا توصلنا إلى كشف بعض الغموض الذي يلف هذه القضية ، وهذا يخفف عن أنفسنا ما عانيناه من مشقة . . .

سأله خالد بحماس :

- هل توصلتم إلى معرفة الجاني ودوافه ؟؟

أجابه وقد استعان بحركات يديه وشفتيه في التعبير عن حقيقة الموقف :

- ليس بالتأكيد وإن كانت الشبهات كلها تحيط بذلك الميكانيكي وإن كان لا زال حراً طليقاً حتى الساعة . . .

سألته السيدة سعاد بقلق :

- ولماذا لا تلقون القبض على هذا السفاح المجرم ؟؟

أجابها باستسلام :

- هذا ما عرضته على سيادة المفتش جميل ، ولكنه رفض فكرة القبض عليه قبل الحصول على الدليل القاطع الذي لا يقبل الشك . . . وأنتم تعرفون طبيعة المفتش الذي لا يرضى إلحاق الظلم بأحد . . . .

خرج المفتش عن صمته ليقول :

- أبلغ الرائد رأفت أننا سنمكث هنا فترة وجيزة . . . ربما أبلغه البوليس الدولي (الأنتربول) المعلومات التي طلبتها عن تيودور . . .

نهض المفتش صفوت لإجراء إتصال هاتفي عندما قالت ليلى :

- آه كدت أنسى . . . سيادة المفتش قبل وصول عمي المفتش جميل بدقائق اتصل هاتفياً رجل لا أعرفه وسأل عنك ، ولكنه لم يترك اسمه أو عنوانه . . .

نظر إليها المفتش صفوت باستغراب ، وسألها :

ـ سأل عني أنا ؟؟ . . . من يا ترى ؟ لا أحد يعلم أنني سأحضر إلى هنا . . . بادرها المفتش جميل بالسؤال :

ـ وهل يمكنك وصف نبرات صوته ؟؟ . . .

أجابته ، وكأنها كانت تتوقع طرح السؤال :

ـ نعم . . . كان صوته أجش النبرات ، يتحدث العربية بلكنة أجنبية ، بالكاد عرفت ماذا يريد . . .

وسط ذهول الحاضرين ، قال المفتش جميل :

ـ إنه هو . . .

تملكتهم الحيرة ، وتبادلوا النظرات فيما بينهم ولكن المفتش صفوة بادره بالسؤال :

ـ أتعني تيودور ؟؟

وبهدوء وثقة ، أومأ المفتش برأسه بالإيجاب ، وردد :

ـ نعم . . . تيودور . . .

اتسعت حدقتا المفتش صفوت وازدادت دهشته وهو يسأل :

ـ لماذا يتصل بي أنا ؟ . . . كيف عرف بوجودي عندكم حتى يسأل عني ؟؟

كانت نبرة صوت المفتش حاسمة عندما قال :

ـ صفوة أخبرني عن تحركاتك بعد محادثتك مع رأفت .

قام المفتش صفوت بما طُلب منه على أكمل وجه ، وبلهفة وشوق لمعرفة المزيد عاد إلى مقعده إلى جوار المفتش جميل الذي أعاد عليه

طرح السؤال :

ـ الآن . . . أخبرنا كيف أمضيت نهارك ؟؟ انتبه . . . يجب ذكر كل كبيرة وصغيرة ، مفهوم ؟؟ . . .

كـان المفتش صفوة يحتـرم رئيسه المفتش جميـل ويكنُّ له حبـاً عظيماً ، لذلك كان يسرد عليه تفاصيل ما حدث معه بـالساعـة ، بل بالدقيقة ، وبدقة متناهية ، ولما لم تثـر معلوماتـه عند المفتش أي رد فعل ، سأله من جديد :

ـ أعرف جميع ما تحدثت عنه ، فقد كنا سوية ، . . . ما أريد معرفته هو هل تحدثت إلى شخصٍ ما عن قضية اليوم ؟؟. . .

على الفور أجابه المفتش صفوة :

ـ صحيح . . . تحدثت إلى سيادة اللواء هاتفياً . . .

قاطعه المفتش جميل الذي أظهر اهتماماً بتفاصيل ما جرى :

ـ من أين أجريت المحادثـة الهاتفية ؟؟

تابع المفتش صفوت إجاباته بوضوح عندما قال :

ـ من غرفة الإدارة في مبنى المطار . . .

ـ وهل كان هناك غيرك ؟؟

سأله المفتش جميل ، ولكن المفتش صفوة أوضح بقوله :

ـ نعم . . . كان المبنى مكتظاً بـالأشخاص ، كنـا قد استـدعينا ، العاملين في المهرجان ، خصوصاً مساعدي الطيارين المكلفين صيانة وحفظ الطائرات الشراعية . . . طرحنا على كـل منهم بعض الأسئلة

ولكننا لم نحصل على ما نريد . . .

ـ أثناء الحديث ، هل أفصحت عن الشك بشخص معين ، سأله المفتش جميل الذي تابع قائلاً : لا بد أن سيادة اللواء طلب منك بعض الاستيضاحات . . . وهل تتجه الشكوك نحو أحد . . .

كان جواب المفتش صفوت جاهزاً ، فقال :

ـ نعم . . . وأجبته بأننا حصرنا الشبهة في بعض الأشخاص ونحن بصدد استكمال المعلومات عنهم من البوليس الدولي تمهيداً لإلقاء القبض عليهم ووضعهم حيث يجب أن يكون المجرمون . . .

هز المفتش جميل رأسه ، وقال بحزم وثقة :

ـ هذا ما كنت أريد معرفته . . لا شك أن المجرم سمعك وأنت تتحدث ، وما اتصاله بك والسؤال عنك إلا دليلاً على خوفه من كشفك لأمره . . .

ضحك المفتش صفوة ، وأجاب مازحاً :

ـ وماذا يريد مني ؟ هل يرشوني لأكتم معرفتي بالأمر وأتستر عليه ؟؟ . .

كان المفتش صفوة يحاول تغيير الجو بهذا المزاح ، ولكن المفتش جميل لم يستجب لهذا الجو ، فقال بجدية وحزم :

ـ لو كان يهدف إلى رشوتك ما اهتممنا بتصرفاته ، ولكنني أتوقع منه خطوة أكثر تهوراً . . .

بهت المفتش صفوة لهذا الرأي ، وقال مستنكراً :

ـ أي خطوة يمكن أن يقدم عليها ؟ . . . هل ستبلغ وقاحته تحدي رجل أمن ؟ لو حصل ذلك فعلاً لكشف عن نفسه مجاناً . . .

تساءل المفتش جميل بهدوء :

ـ لماذا يسأل عنك إذن ؟؟

واتجه المفتش جميل مباشرة إلى جهاز الهاتف وقال للمأمور المناوب في المديرية :

ـ آلو . . . من أيمن ؟ . . . أريد إبلاغ مديرية الهاتف تسجيل المخابرات التي يتصل أصحابها برقم منزلي . . .

وقطع المفتش حديثه بينما أمسك بسماعة الهاتف بعيدة عن أذنه وانبطح أرضاً ، وطلب من الآخرين ذلك عندما سمع أزيز رصاصة تستقر في أحد جدران الغرفة المواجه للنافذة ، ونهض ليعيد السماعة ويتحرك لتبين ما جرى ، وقد أخرج مسدسه من حزامه وجهزه للإطلاق ، وصرخ :

ـ فينو . . .

أصدر فينو نباحاً غاضباً مكتوماً ، ووقف يهز مؤخرته وذيله قبل أن يسبق المفتش الذي هرع ناحية الدرج . . .

لحق المفتش صفوة برئيسه بعد أن جهز مسدسه هو الآخر ، فيما كانت ليلى تهمس في أذن خالد :

ـ غريب . . . كيف أننا لم نسمع صوت إطلاق الرصاص ؟؟

جاء جواب خالد :

ـ لا بد أن الجاني استعمل كاتم الصوت . . .

أنهى خالد عبارته وهو يزحف على بطنه استعداداً للحاق المفتشين جميل وصفوت ، ولكن صوت السيدة سعاد أوقفه وهي تقول :

ـ إبقَ هنا يا خالد !. . لا تغادر الغرفة . . .

استمر خالد بالزحف وأجاب والدته بقوله :

ـ سأبقى في الغرفة المجاورة للمراقبة من النافذة . . . لا عليكِ يا أمي . . .

ولكنها صرخت من جديد محذرة وبلهجة آمرة :

ـ لن تذهب . . . قلت إبقَ هنا . . .

حسم الجدل وصول فينو يلهث ، فتنفسوا الصعداء لانتهاء الكابوس وعرفوا أن المفتشين عادا دون معرفة المعتدي . . . وسرعان ما ظهرا خلف فينو غاضبين ، وهما يتبادلان الحديث . . .

توجه المفتش مباشرة إلى الهاتف وأجرى اتصالاً مع أحد مساعديه ، فيما كانت إمارات الغضب بادية على محياه وهو يقول :

ـ أرجو إرسال أحد خبراء العمل الجنائي . . .

كان المفتش صفوة غاضباً هو الآخر ، ولكن الدهشة قد ملأت كيانه وهو يقول :

ـ كيف يجرؤ ؟ . . . يجب إلقاء القبض عليه فوراً يا سيادة المفتش . . .

رغم غضبه العنيف، ابتسم المفتش جميل وقال بحنان الأب :

ـ قد يكون المدعو تيودور بريئاً ، فهل نظلمه ؟ كل ما لدينا شكوك لا دليل على صحتها . . . ماذا لو أنكر علاقته بحادث إطلاق الرصـاص علينا هنا ؟؟

قطع المفتش جميل حديثه ، ولم تتح له الفرصة كي يجيب المفتش صفوة ، فقد تجاوب صدى رنين جـرس الهاتف ، فـالتقط المفتش جميل السماعة وقال :

ـ آلو . . . ها . . . لحظة يا رأفت . . .

كانت قسمات وجهه تعبِّر عن انفعالاته لما يسمع عندما هتف :

ـ خالد . . . أعطني ورقة . . .

سحب من جيب سترته قلماً ، وتابع الحديث مع الرائد رأفت :

ـ نعم يا رأفت ، هات ما عندك . . .

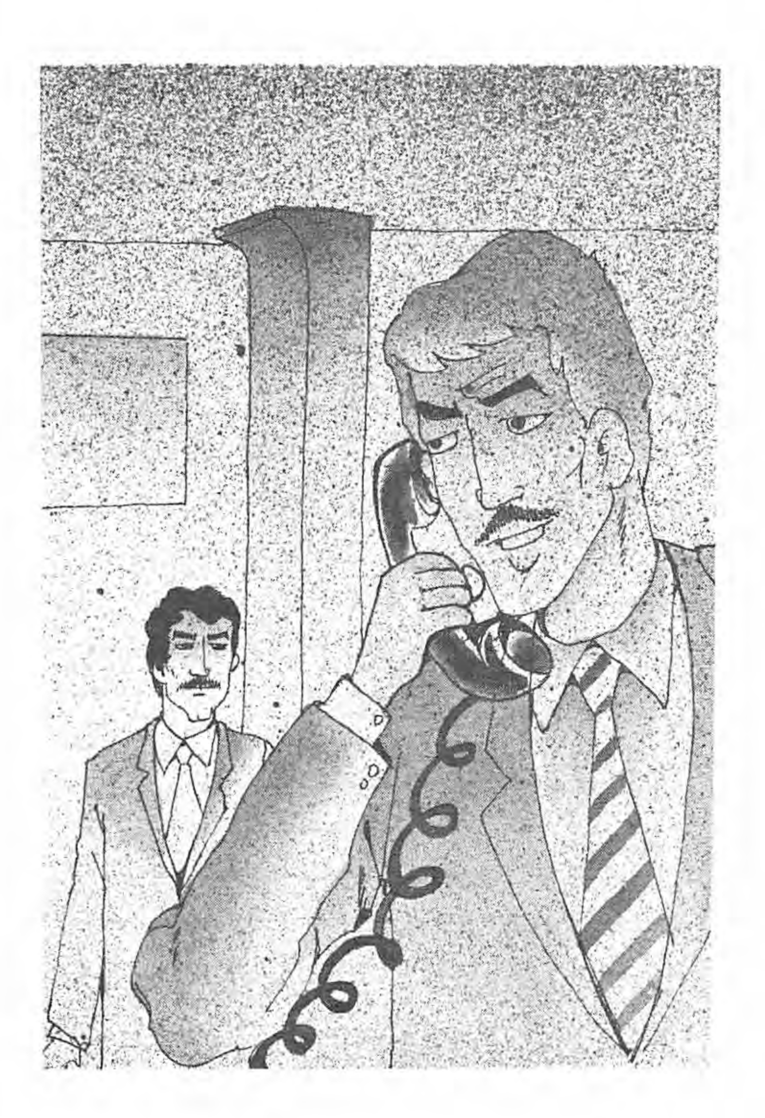
على غير عادة ، فقد كان صامتاً هـذه المرة ، وأخـذ يدون بنفسـه المعلومات التي زوده بها الرائد رأفت ، وقد اكتفى بالقول ، بين الفينة والفينة :

ـ عظيم . . . جيد . . .

انتهى من تدوين ما أملاه عليه الرائد ، فأنهى المخابرة بالقول :

ـ شكراً يا رأفت . . . ألف شكر . . .

وجلس صامتاً يتأمل الكلمات التي دونها بعـد إعادة السمـاعة إلى مكانها فيما كانت أعصاب الآخرين مشدودة ، ونفوسهم متلهفة لمعرفة ما جرى ، ولكنه بدد حيرتهم عندما قال فجأة :



ـ الآن بدأت الأمور تتضح . . . إن المدعو تيودور هو أحد الرعايا السويديين وإن كان مولوداً هنا . . . في بلدنا . . .

اعترت الدهشة المفتش صفوة الذي سأل :

ـ أتعني ، سيادتك ، أنه من مواطنينا . . .

نفى المفتش جميل هذه الفكرة بهزة من رأسه ، وأردف شارحاً :

ـ لا ، بل سويدي ، وإن كان يتردد ، من وقت لآخر ، إلى مسقط رأسه . . .

سأله خالد الذي شغف بمتابعة الحوار :

ـ وماذا في هذا الأمر ؟ لا شيء يدين الرجل . . .

أجابه والده على الفور :

ـ اللافت للنظر تردده في فترات متقاربة ومتعددة خلال الشهور الأخيرة إلى هنا . . .

كان تفكير المفتش صفوة ينحو منحىً آخر ، فقال :

ـ ومتى غادر إلى السويد لأول مرَّة ؟ . . . هل أوضح التقرير ذلك ؟؟

أجابه المفتش جميل بهدوء واتزان :

ـ غادرنا منذ ثلاث سنوات خلت . . . وهناك تقدم بالمستندات الثبوتية اللازمة وحصل على جنسيته الأصلية . . . فقد أثبت أنه سويدي الأبوين . . .

بعد برهة لزم المفتش جميل خلالها الصمت ، فيما خيم السكون على المنزل بمجمله إلاَّ من بعض حركات بهلوانية يقوم بها سرور ، كان

يفكر في القضية ، ويقلبها من وجوهها كافة ، فرفع رأسه وقال :
ـ صفوة . . . اتصل بالمديرية واطلب إليهم إرسال أحد رجالنا ليتولى حراسة المنزل . . .

استبد القلق بنفس السيدة سعاد التي هتفت بجزع :

ـ هل تتوقع منه مهاجمتنا مرة أخرى ؟؟ .

شرد بتفكيره وأغمض عينيه وهو يردد بهدوء :

ـ بل أكاد أجزم بهذا الأمر ، خصوصاً بعد فشل محاولته الأولى في التخلص من صفوة . . . إنه يرغب في إسكاته بأي ثمن وبأية وسيلة ، قبل أن يعلن عن اسمه . . .

تساءلت السيدة سعاد قائلة :

ـ في هذه الحالة ، سيلاحق المفتش صفوة . . .

أجابها بحزم ، وبثقة الخبير :

ـ لن يجرؤ على إعادة الكرة بعد أن تنبهنا جميعاً ، ولاسيما صفوت ، إلى ما يدبره . . . سيسعى للقيام بخطوة يائسة يرغم المفتش بها على عدم ذكر اسمه . . .

أكمل صفوة ما أراد المفتش جميل قوله : فقال متسائلاً :

ـ التهديد !! . أليس كذلك . . .

أجابه المفتش جميل بهدوء بعد لحظة تفكير :

ـ علِم ولا شك بصلتك الوثيقة بنا ، وهذا قد يجعله يفكر بأمر آخر . . .

اعترى الخوف من المجهول الآتي السيدة سعاد فسألت :

ـ أمر آخر ؟ مثل ماذا ؟؟

كـان المفتش يشرح وجهـة نظره ، ويضـع الاحتمالات ، فحـاول التخفيف عن نفس زوجته ، فقال :

ـ لا تقلقي فنحن نفترض حدوث شيء . . . بالنسبة لحالة الخوف والقلق التي قد تساور نفسه ، ماذا لـو أقدم على ارتهـان أحد الأولاد مثلاً ؟؟

جاء الرد من المفتش صفوة حاسماً :

ـ ليته يفكر بالإقدام على خطوة كهذه ! ! .

وبهدوء غريب ، غير منتظر ، قالت ليلى :

ـ يا حبذا ؟ لو فكر في مهاجمة أحدنا لوجدنا جميعاً بانتظاره ، فهل أقل من أن نرحب به ؟؟ . . .

نهاها المفتش عن الإفـراط في الثقة بنفسهـا وبالآخـرين حين قال محذراً :

ـ لا يا ليلى . . . إنه مجرم وقاتل خطير وبالتالي هو في حالة خوف مـدمـر ، ثم لا يغيب عن بـالكم أنـه يستعمـل سـلاحـاً زوده بكـاتم للصوت . . .

توقف المفتش عن الحديث والتفت ناحية النافذة عندما سمع هدير محرك سيارة توقفت في باحة المنزل : أسرع خالد يستطلع الخبر وعاد ليقول :

ـ إنه خبير المعمل الجنائي . . .

تحرك المفش جميل لاستقباله مرحباً، ودخلا معاً يحدثه المفتش عن حقيقة ما جرى وعندما اقتربا من مكان استقرار الرصاصة سمعوه يقول للخبير :

ـ أرجو أن تحدد لنا المكان الذي انطلقت منه الرصاصة ونوع السلاح المستعمل .

قام الخبير بعمله بغاية الاتقان مستعيناً بأحدث ما توصل إليه العلم في مجال كشف الجرائم ، وبعد لحظة ترقب وانتظار ، أشار بيده وهو يقول :

ـ من هذا الاتجاه . . .

تبع المفتش إشارة الخبير يشاركه الجميع حماسه ، وقال :

ـ توقعت صدورها من هذه الناحية ، فالمبنى المقصود شبه خالٍ إلا من الحارس وبعض السكان . . .

عاد الخبير للعمل على إخراج الرصاصة ، فيما كان أفراد فرقة الأذكياء يهمهمون فيما بينهم بكلمات خاصة دون أن يدري بتصرفهم أحد ، ولكنهم انتبهوا جميعاً إلى حديث الخبير وهو ينظر إلى الرصاصة التي أخرجها ويقول :

ـ إنها من مسدس عيار « ١١ ملم » ، من نوع كولت أميركي الصنع . . .

تقدم المفتش من الخبير بالشكر الجزيل وودعه إلى باب الحديقة الخارجي ، فيما كان المفتش صفوت يجري اتصالاً هاتفياً بمكتبه في

مديرية الأمن ليؤكد طلب الحراسة ، وفجأة تجمدت ملامح وجهه وقال غاضباً :

ـ آلـو . . . من ؟ . . . من الـذي يسترق السمـع بـدخـولـه على الخط ؟؟ . . . . .

دهشوا جميعاً لسماع هذه العبارة بمن فيهم المفتش جميل الذي عاد لتوِّهِ ، وصمت المفتش صفوة منصتاً لبرهـة ، وكلهم يتطلعـون إلى إمارات الغضب على وجهه ، ثم قال :

ـ اتصل بالرقابـة فوراً وليتحـروا عن مكان الإنصـات ثم اتصل بي هنا . . . مفهوم ؟ . . .

وأنهى المخـابرة بـإعادتـه السماعـة إلى مكانهـا ليتلقى سؤالاً من المفتش جميل :

ـ ماذا حصل ؟؟ . . .

كان المفتش صفوة تحت تأثير الموقف عندما أجاب بغضب :

ـ كنت أطلب من الرائد رأفت إرسال أحد الرجال فسمعت من يقول بتهكم : « حارس واحد ؟ . . . إنه لا يكفي . . . » .

جمعهم المفتش حوله بسرعة وقال لهم :

ـ بانتظار وصول الحارس المكلف لا تفتحوا الباب لأحد مطلقاً ، ولا تقفـوا في أمكنة مكشـوفـة ! . . . إنني أفضـل اختيـار غـرفـة داخليـة لجلوسكم . . .

ابتسم خالد وأجاب والده :

ـ إلى هذا الحد نحن لقمة سائغة يسهل ابتلاعها في نظرك ؟؟

كانت نظرة المفتش جميل كافية لتنبيه خالد ، لكن المفتش شفعها بالتحذير عندما قال :

ـ خالد . . . لا مجال لإظهار البطولة في موقف كهذا ؟ . . . الأمر أخطر بكثير مما تظنون . . .

عقدت الدهشة لسان خالد وفوجيء بالعصبية التي يتكلم بها والده ولأول مرة ، وظهرت إمارات التأثر على وجه خالد البريء ، وهي لا تخفى على والده النبيه ، فاستدرك الأمر وطيب خاطر خالد الذي يعرفه حق المعرفة ويدرك حساسيته في مواقف مشابهة ، فقال له بحنان الأب :

ـ كن واقعياً يا خالد . . . الشجاعة وحدها لا تكفي لمواجهة قاتل مسلح غلبه الخوف واليأس . . .

رسم خالد ابتسامة مشرقة على شفتيه ، واتجه المفتشان ناحية الدرج ، ولكن رنين جرس الهاتف أوقفهما ، بل عاد المفتش جميل ليجيب المتحدث على الطرف الآخر ، وبعد حديث قصير سمعوا المفتش يوصي الرائد رأفت بالقول :

ـ يمكنك الاتصال بي هنا بعد ساعتين من الآن . . . نعم . . . . نعم . . . . لا تنس ؟ أكون قد عدت من مهمة سريعة . . .

وغادر المفتشان المنزل بعد أن أوصى المفتش جميل بإقفال الأبواب بعناية تامة . . . حتى باب الحديقة الخارجي لم يغفل عن إغلاقه هو الآخر . . .

براعة خالد

نفذ أفراد الفرقة طلب السيدة سعاد بالانتقال إلى غـرفة الـطعام ، وجلسوا قرب أحد الممرات بعيداً عن النوافذ ، وقام وليد ببراعة وإحكام بإقفال باب الشرفة فيها ، وأسدلوا الستائر ، وساد صمت وترقب تبادلوا فيه النظرات المتسائلة الى أن قالت ليلى :

ـ إن عمي على حق في تخوفه ، كيف بإمكاننـا أن نقاوم مجـرماً كهذا ، ونحن عُزَّل ، إذا أقدم على مهاجمتنا ؟؟

تذمرت السيدة من الحديث وأبدت استنكارها عندما أجابتها :

ـ دعونا من الحديث في هذا الموضوع . . . لقد سئمت الحديث عن الجريمة والمجرمين . . .

كان رنين جرس باب الحديقة أسرع في رد الجواب ، وساد صمت ثقيل فيما كان فينو يقوم بواجبه في استطلاع الأمر فأسرع بالنزول ، بينما تحرك خالد إلى مكان آمن يستطيع منه النظر إلى باب الحديقة ومعرفة الزائر ، وبحذر أطل برأسه من النافذة وهتف يسـأل رجلاً وقف أمـام الباب :

ـ نعم . . . ماذا تريد ؟؟

رفع الرجل بصره ليتعرف على صاحب الصوت ، وقال :

ـ أنا مرسل من قبل مديرية الأمن . . . دعني أدخل . . .

غمر الفرح كيان خالد وهو يقول :

ـ لحظة واحدة . . .

قبل أن يسألوه ماذا حدث ، قال لهم :

ـ لقد وصل رجل المباحث المكلف بحراسة المنزل . . .

هرول كل من وليد وخالد وعصام إلى الطبقة السفلى ، فيما بقيت السيدة سعاد ترافقها ليلى في مكانهما . . رحب الشبان الثلاثة بالرجل الذي قدم نفسه لهم بقوله :

ـ الرقيب ناجي عبد الكريم . . .

دخل بصحبتهم الى بهو الڤيلا وعيونه ترقب كل ما حوله ، وطلب منهم القيام بجولة يتفقد خلالها المكان لحسن أداء المهمة . . . . قاموا بجولة سريعة في أجنحة الطابق الأول عادوا بعدها إلى البهو ، فقال لهم بلهجة عسكرية آمرة :

ـ اصعدوا إلى حيث والدتكم واطمئنوا . . . لا تزعجوا أنفسكم بالهبوط إلى هذا الطابق لأنني سأطفىء الأنوار ليسهل عليّ المراقبة دون أن يلمحني أحد . . .

سأله خالد بأدب :

ـ حضرة الرقيب . . . هل تريد شيئاً آخر قبل أن نذهب ؟؟

أجابه بوجه عابس ولهجة صارمة مقتضبة :

ـ شكراً . . . لا أريد شيئاً . . .

امتثلوا لأمره ودخلوا حيث جلست السيدة سعاد وليلى ، بعد أن أقفلوا الباب المؤدي إلى الطابق الثاني بإحكام . . . وحين رأتهم السيدة سعاد بقربها تساءلت :

ـ هل غادر المنزل ؟؟

ابتسم خالد وأجابها بلهجة محببة :

ـ كيف ينصرف يا ماما ؟؟ . . إنه في الطابق الأول . . .

ضحك عصام وقال معلقاً على شكل الحارس وتصرفاته :

ـ لقد اختاروا لحراستنا حارساً لم يسبق أن شاهدناه من قبل . . . يا لطيف !! . يبدو أنه من سلالة هرقل . . .

قال وليد متابعاً :

ـ يكفي أن يقع بصر أي مجرم عليه حتى يولي الأدبار من فوره . .

قالت ليلى بحشرية :

ـ وهل هو مخيف الى هذا الحد ؟ لقد أثرتم في نفسي الرغبة في مشاهدته . . .

همت بالوقوف عندما طلبت منها السيدة سعاد البقاء حيث هي قائلة :

ـ لا لزوم لذلك يا ليلى . . . ستتاح لك الفرصة لرؤيته فيما بعد . . .

ثم تحولت السيدة بالحديث إلى خالد وقالت له :

ـ خالد . . . اتصل بوالدك وسله إن كان سيحضر للعشاء معنا . .

فهمت ليلى قصد السيدة سعاد ، فيما تحرك خالد لإجراء الاتصال

الهاتفي الذي علم على أثره أن والده خرج في مهمة وهنـاك احتمال بالتأخر في العودة الى المنزل ، هذا ما أبلغه به الموظف المسؤول. . .
عندها قالت السيدة سعاد :
ـ لنتناول طعامنا إذن . . . إنني أرغب في الراحة والنوم بعـد هذا اليوم المرهق . . . ساعدك الله يا جميل . . .
أنهوا طعامهم بسرعة ، وقبل أن ينتقلوا إلى غرفة الجلوس لمتابعة برامج التلفزيون ، زمجر فينو غاضباً ، وانتصب يحاول فتح باب الغرفة المغلق ولم تفلح محاولة خالد في تهدئته ، فالتفت فينو إليه وزادت زمجرته واندفع نحو الباب غاضباً وقد كشر عن أنيابه . . . فقالت ليلى :
ـ شيء ما يجري في الطابق الأول أثار فينو . . .
قال وليد :
ـ ربما أثاره تنقل الرقيب في الأسفل . . .
كانت السيدة سعاد قد انتقلت الى غرفة نومها وراحت في سبـات عميق ، فيما سرى إحساس بالخوف والرهبة في أجساد الأذكياء ، وكان الإحساس بالخطر هو الدافع لخالد لأن يهتف بعد شرود وقد امتقع لونه :
ـ يا إلهي . . .
سألوه بلهفة :
ـ ما بك ؟؟
نادى خالد على سرور وهب إلى مزلاج الباب يفتحـه أمام فينـو ،

وأشار لهما باتباع ما يجري تحت . . هبط فينو الدرج مسرعاً ، ولم يأبه لعصام الذي حاول منعه خوفاً عليه ، وببراعة اتجه مباشرة الى أحد المقاعد يتشمم الأرض حوله وصدر عنه نباح مسعور غاضب . . .

تبعوه بحذر يفتشون عن الرقيب ولكنه اختفى . . . وفي محاولة لمعرفة سبب ثورة فينو المفاجئة ، اتجه خالد نحوه وانحنى يستطلع ما أثار فينو الكلب الذكي . . . وهب واقفاً ليهتف بذعر :

- يا إلهي . . . قنبلة موقوتة . . .

بدأوا العمل المتقن بحذر شديد ، فتح عصام الباب على مصراعيه ، فيما حمل وليد المقعد وقلبه برفق وتؤدة ، وحاول خالد نزع الأسلاك بأنامل مدربة ماهرة . . . لحظات ، وهرول بالقنبلة خارجاً وأودعها في مكان بعيد عن المنزل وعاد مسرعاً ،

كانت ليلى تنفذ طلب خالد بإجراء اتصال هاتفي سريع مع مكتب عمها المفتش جميل . . . ولما لم تجده طلبت الاتصال بالرائد رأفت الذي هب على الفور على رأس قوة يرافقهم الخبير العسكري المختص بالمتفجرات . . .

وكان الرائد نصحهم جميعاً بالبقاء بعيداً عن مصدر الخطر ، والنزول الى الشارع لإبعاد من يمر في هذه الساعة قريباً من المكان . . .

كان القلق يسيطر عليهم من هذه المفاجأة ، فقال عصام :

- ما رأيكم لو أغرقناها في الماء ؟؟

أجابه وليد متسائلاً :

ـ وما جدوى هذا العمل ؟؟

أجابت ليلى :

ـ ربما أفسد الماء المادة المتفجرة . . .

تدخل خالد بالحديث ليشرح خطورة هذه المحاولة ، فقال :

ـ كذلك وقد يفجر الماء المادة المستعملة ، إن الماء يتفاعـل مع حامض الكبريتيك . . . ربما كانت من هذا النوع . . . وقد يوصل الماء التيار الكهربائي ويفجرها !! . .

كان عصام بحالة لا يحسد عليها ، فتـوالت اقتراحـاته الـواحد تلو الآخر ، حيث قال :

ـ فلنتوقع انفجارها في أية لحظة إذن . . . ومن الضروري إخطار السكان في البنايات المجاورة تخفيفاً للمفاجأة . . .

توقف عصام عن الحديث عندما تناهى الى أسماعهم جميعاً أصوات أبواق سيارات الشرطة المميزة مما جعلهم يصرفون النظر عن تنفيذ هذه الفكرة . . .

ما أن توقفت السيارة الأولى حتى قفز الرائد رأفت منها ، وتبعه الخبير العسكري وتوجه مباشرة ناحية الشبان الثلاثة وليلى وسألهم :

ـ أين هي ؟؟

قادهم خالد إلى المكان الذي وضع فيه القنبلة ، فاستعـان الرائـد والخبير بالأنوار الكشافة التي يستعملونها في الحالات المشابهة . . . وبمنتهى الدقة ألقى الخبير نظرة فاحصة وحدد ما يجب عمله فـوضع

حقيبة يده على الأرض وطلب منهم الابتعاد عن المكان فيما قال :

ـ سيارة الرائد . . . أرجو تركيز الضوء على هذه البقعة . . .

بعد لحظات انقشعت الغمامة السوداء التي هيمنت على ڤيلا المفتش جميل لمدة قصيرة ، فقد نجح الخبير في تعطيل مفعول القنبلة مما جعلهم يتنهدون بارتياح . . .

غادر الرائد رأفت المكان وخلف وراءه بعض رجال الشرطة ، ورافقه في رحلة العودة الخبير العسكري ، فيما ودع أفراد الفرقة ضيوفهم وعادوا إلى المنزل فرحين . . .

* * *

الشبيهان

وصل المفتش جميل الى مكتبه في مديرية الأمن وهو في غاية الغضب ، تشتعل الثورة في داخله ، وجلس ينتظر المفتش صفوة الذي كلفه القيام بمهمة في الخارج . .

لم يطل الانتظار ، فقد وصل المفتش صفوت بعد لحظات ليبادره المفتش جميل بالسؤال :

ـ هيه ؟ . . هل توصلت الى شيء مهم ؟؟

أجابه المفتش صفوة :

ـ عندما نجح الفنيون في تحديد المكان الذي حصلت فيه عملية الإنصات هرعت إلى هناك مع بعض الرجال ولكن كل السكان المحيطين بالمكان أكدوا أن أحد عمال مديرية الهاتف كان يقوم بإصلاح أعطال في أسلاك بعض المشتركين ، وقد تمكنا من معرفة المكان الذي أوصل فيه الجهاز على الخط . . .

كان اليأس يأخذ طريقه الى نفس المفتش جميل ، بعد هذا العمر الطويل الذي قضاه في مطاردة المجرمين ، هل يعجز عن كشف من يعاكسه ويتحداه شخصياً ؟ لم يستسلم لليأس ، بل أعاد السؤال على

المفتش صفوة فقال :

ـ وهل نجحت في جمع أوصاف الرجل ؟؟

ابتسم المفتش صفوة باعتزاز وقال :

ـ وهل تخالني أخفق يا سيادة المفتش ، إنني تلميذك . . .

إسمع سيدي : الرجل ضخم الجثة ، شعره كستنائي ، كثيف ، بالطبع يرتدي ثياب عمال الهاتف ، المميز هو ذلك العرج في ساقه اليسرى . . .

كانت الأوصاف تنطبق على المشبوه الذي يبحثان عنه ، فوقف المفتش جميل وقال :

ـ فلنذهب الى الفندق . . . أريد وضع حد لهذا الوغد الوقح !! .

أجابه المفتش صفوة بثقة :

ـ إن شئت سيادتك أحضرناه الى هنا ! . .

قاطعه المفتش جميل وقال بهدوء وحزم :

ـ لا . . . أريد التأكد من أمر معين . . .

غادرا المديرية مسرعين بعد أن حملا أسلحتهما الفردية ، وطلب المفتش جميل سيارة خاصة وحدد وجهة سيره عندما قال للسائق :

ـ الى الفندق الكبير . . .

اتجه المفتش جميل مباشرة الى مكتب مدير الفندق الذي هب للترحيب بضيفيه ترحيباً حاراً ، فقد حصل التعارف بينهما من قبل عندما كشف المفتش جميل عن سرقة قام بها أحد النزلاء الأجانب وذلك قبل

أن يظفر السارق بغنيمته ويفر بها . . . دعاهما المدير للجلوس ، فبادره المفتش جميل بالقول :

ـ إننا في مهمة خاصة ، ولسنا في زيارة، لذلك أرجـو التعاون من قبلكم ، وإحاطة الأمر بالكتمان !! .

عبر المدير عن قبولـه عندمـا وضع يـده على كتف المفتش جميل وقال :

ـ تحت أمرك يا سيادة المفتش ، ماذا تريد ؟؟ . . .

اعتدل المفتش جميل في جلسته ، فيما جلس المفتش صفوة على المقعد المقابل ، وانضم إليهما مدير الفندق الذي لم يقبـل الجلوس وراء مكتبه ، بل إلى جانب المفتش صفوة ، وهنا بدأ المفتش جميل حديثه بالقول :

ـ أريد كشفاً سريعاً بأسماء جميع النزلاءوالخدم،وبالتحديد أشدد على أسمـاء وأرقام غـرف النزلاء المشتـركين في مهرجـان الـطيـران الشراعي . . . وكذلك أريد جوازات سفر أو بطاقات هوية الجميع . . .

أسرع المديـر بتنفيذ طلب المفتش جميـل ، فاستـدعى الموظفين المختصين في الفندق ووزع أوامره عليهم ، وبعد برهة من الوقت كانوا يقطعونها بأحاديث شتى ، دخلت فتاة أنيقة رشيقة القوام تحمل أوراقاً خاصة ، يرافقها شاب من موظفي الفندق يحمل بين يديه صندوقاً صغيراً نسبياً وبداخله الجوازات والبطاقات المطلوبة . . .

تنحى مـدير الفنـدق جانبـاً مفسحاً في المجـال للمفتشين للعمـل

بحرية ، عندما قال المفتش جميل :

ـ صفوة . . . ريثما أنتهي من التحقق من الجوازات ، اكتب لي الأسماء جميعها مرتبة حسب حروف الهجاء . . .

انهمكا بعمل جاد دقيق ، فاهتم المفتش جميل بالتدقيق في الجوازات الصادرة عن الدول السكندينافية بصورة خاصة ، وفجأة سمع المفتش صفوت يقول :

ـ سيادة المفتش . . .

رفع المفتش جميل رأسه ونظر الى المفتش صفوت الذي أشار بإصبعه على اسمين متتاليين لفتا نظره ، وقال وهو يناوله الورقة :

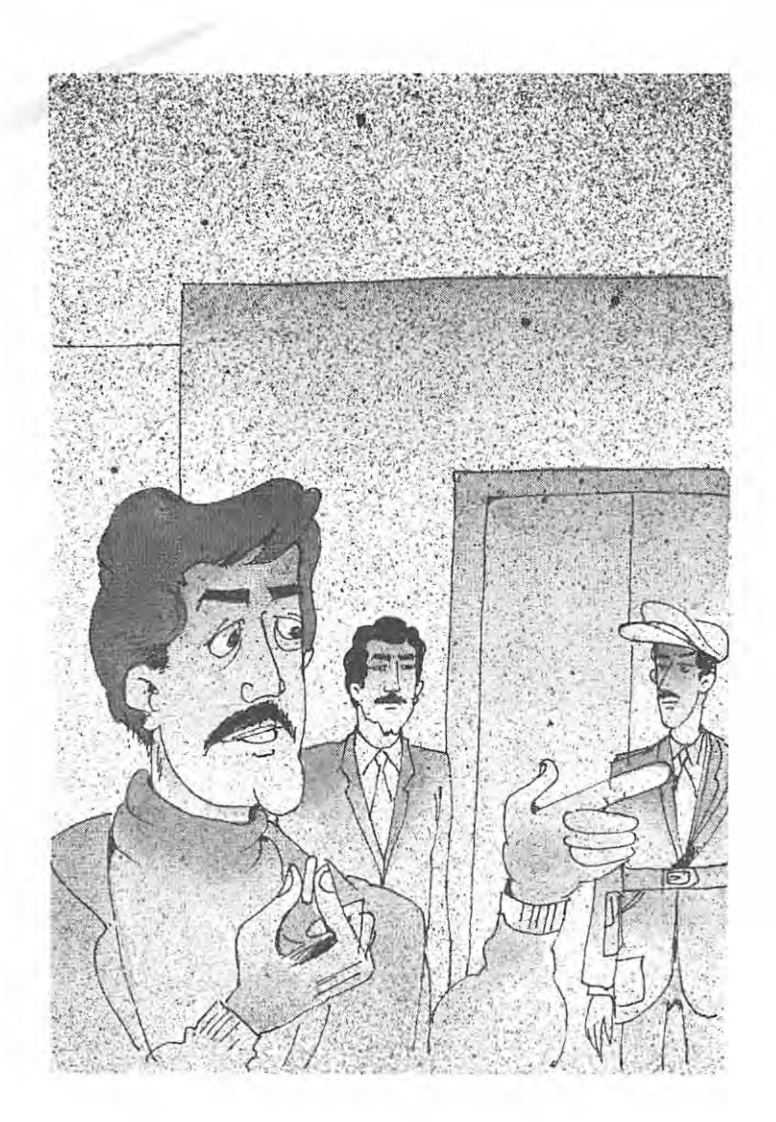
ـ انظر هنا سيدي !! .

انفرجت أسارير المفتش جميل عن ابتسامة معينة ، بعد تأمل الإسمين ملياً ، فوقف وقال :

ـ عظيم . . . إقبض على صاحبي الإسمين . . . وقُدْهما الى المديرية . . . لدي بعض الأعمال يجب إنهاؤها قبل اللحاق بكم ، . . صفوت . . توجد قوة برئاسة المساعد عبد الله يمكنك الاستعانة بها . . .

ووسط دهشة نزلاء الفندق الذين احتشدوا في بهو الفندق الأرضي ، خرج المفتش صفوت وفي جعبته صيد ثمين . . . إنه صيد غريب فعلا . . .

* * *



دعوة الأذكياء

اجتمع أفراد الفرقة في البهو الكبير للڤيلا بعد انصراف الرائد رأفت والخبير العسكري ، فلفتت ليلى نظرهم إلى أمر لم يخطر لهم على بال ، إذ قالت :

ـ خالد . . . طالما أننا تأكدنا من انتحال القاتل لشخصية الحارس المرسل من قبل مديرية الأمن لحراستنا ، أين ذهب الحارس الحقيقي ؟؟ . . .

تأملها خالد برهة ، وقد بهرته فكرتها ، وقال :

ـ فعلاً . . . كيف لم نفكر بهذا الأمر ؟؟ . . .

وتوجه إلى جهاز الهاتف لإجراء اتصال مع المديرية ، وبوالده على التحديد ، لمعرفة حقيقة ما حصل للحارس ، ولكن صوت توقف سيارة في الخارج جعله يتريث قليلاً ، وها هو فينو يترك مكانه كالعادة ليرحب بالضيف القادم إليهم ، عندها عرفوا أن المفتش جميل قد وصل . . .

دخل المفتش إلى البهو منهكاً تعباً ، وقد رسم ابتسامة على محياه فهموا منه أنه نجح ، أو على طريق النجاح ، في تحقيق تقدم بالنسبة للقضية ، ثم التفت إلى خالد وسأله :

ـ خالد ؟ . . . هل نامت أمك ؟

أجابه خالد وألمح إلى أمر غريب :

ـ نعم . . . ولم تشعر بما حصل ، فقد أرهقت نفسها هذا اليوم . . .

ابتسم المفتش جميل بحنان وقال بعد إخباره بما حصل في غيابه :

ـ والآن ؟ . . . هـل اقتنعتم أن الجـريمـة في صـراع دائم مـع العقـاب ؟؟ . . . إن هذه القضيـة معقدة فعـلاً ، بل هي من أعـوص القضـايـا التي عـرضت لي طيلة حيـاتي في هـذا السلك مفتشـاً للمباحث . . .

قال خالد :

ـ بابا . . . لا أدري إن كان ما تذكرتـه عن الحادثـة يفيد في سيـر القضية . . . .

سأله المفتش جميل باهتمام :

ـ وماذا تذكرت ؟ هات ما عندك . . .

أجابه بتردد وبشيء من الخجل :

ـ قبل موعد المهرجان ، وفيما كان الطيار المسكين يتناول الطعام أمامي ، وقف تيودور ، مساعده ، واتجه إلى الحمام . . . بعد لحظة عاد وكان يعرج . . .

صمت خالد برهة وتردد في سرد ما بقي ، لكنه لمح في عيني والده ما يشجعه على الحديث ، فتابع :

ـ . . . كان سليماً تماماً ويسير معتدلاً عندما ذهب . . .

سأله والده :

ـ وما سبب اهتمامك بهذه الناحية ؟

أجابه خالد :

ـ أبي . . . لا أخفي عليك أنني كنت معجباً بحذائه الجلدي طويل الساق ولهذا كنت أراقب مشيته . . .

ابتسم المفتش جميل بعد أن عرف سبب تردد خالد بالحديث عن الحذاء ، ولكنه عاد وسأله :

ـ يبدو أن إصابته بالعرج فجأة صرفت ذهنك عن الاهتمام بالحذاء . . . هل كان يرتدي الحذاء عينه عندما عاد ؟؟ . . .

بدت الحيرة على وجه خالد ، فهو لم يدقق النظر ملياً ، وبالتالي لم يخطر على باله هذا الخاطر ، فقال :

ـ لم أنتبه ، بالفعل ، لهذه القضية . . . ربما عرجه كان مفاجأة لي وما كان يحمله بين يديه جذب انتباهي وصرفه عن الحذاء . . .

شملهم المفتش بنظرة أبوية حنونة ، وأثار اهتمامهم بسؤاله لهم عندما قال :

ـ وتريد تفسيراً لهذا الأمر ، أليس كذلك ؟؟

وبصوت جماعي واحد جاءه الجواب :

ـ نعم . . . نعم . . .

رفع المفتش يسراه ونظر إلى ساعة معصمه ، وقال :

ـ إذا انتهيتم من ارتداء ملابسكم خلال خمس دقائق صحبتكم معي

لمشاهدة نهاية القضية . . .

هرول وليد وعصام وتبعتهم ليلى لتبديل ملابسهم ، وبقي خالد إلى جانب والده ، فهو ما زال يرتدي ثيابه ، وانتهز فرصة بقائهما منفردين ليسأل والده :

ـ بابا . . هل قبضتم على المجرم ؟؟ .

تابع المفتش النظر إلى ساعة يده ، والتفت إلى خالد وقال وظل ابتسامة ارتسمت على شفتيه :

ـ في هذه اللحظة استطيع القول إنهم أصبحوا في قبضة العدالة . . .

وبلهجة محببة وبحنان الأب تابع الحديث مع خالد ليقول :

ـ . . . لا تحاول استدراجي للحديث ، فلن أخصك بمعلومات لا أطلعهم عليها . . . لا تكن أنانياً . . .

ضحك خالد بخبث ودهاء ، وقال لوالده :

ـ ولكنني ، بالفعل ، أعرف أكثر مما يعرفون . . .

كان حديث خالد يعكس ثقته بنفسه لما يقول ، مما أثار دهشة والده ، فسأله :

ـ وهل شملتنا ، أنا والمفتش صفوت ، بضمير المجهول بقولك « يعرفون » ؟؟ . . .

وبنفس الثقة وبالهدوء ذاته ، أجابه خالد :

ـ بابا . . . اكتملت حلقة الجريمة في ذهني ، ولكن لا زال هناك ثغرتان أبحث عن حل لهما . . .

كانت نظرات المفتش توحي بالاستفهام ، فتابع خالد القول :

ـ الثغرة الأولى هي الدافع لارتكاب الجريمة ، أما الثانية فهي مصير الرقيب الذي انتحل أحدهم شخصيته . . .

ازداد إعجاب المفتش جميل بنباهة وذكاء ولده وربطه للحوادث بأسلوب منطقي تسلسلي ، وفجأة ، جذبه إلى صدره يضمه ويقبله بحماس وهو يقول :

ـ عظيم يا خالد . . . جيد . . .

استبد الذهول بكيان خالد ، فهو لم يقدر قيمة استنتاجه ، ولم يعرف أن حديثه واقعي بعيد عن الخيال ، فقال بتردد :

ـ أهو استنتاج معقول ؟؟ . . .

أجابه والده مشجعاً :

ـ بل معقول وسليم تماماً . . . ولو ألممت بالمعلومات التي بحوزتنا ، بحكم عملنا ، لسبقتنا إلى كشف سر القضية كلها . . .

وقبل أن يجيبه خالد ، تتابع وصول وليد وعصام وليلى ، فتأملهم المفتش باسماً ، ووقف استعداداً للخروج ، ولم ينسَ أن يطلب منهم إبلاغ زوجته ، عندما قال :

ـ أتركوا ورقة لماما سعاد تبلغوها عن سبب خروجكم حتى لا تنتابها المخاوف إذا اكتشفت غيابكم . . .

حرر خالد العبارة المناسبة ووضعها إلى جانب سرير والدته ، على المنضدة ، وتسلل عائداً بهدوء ، فقد أسعده استغراق والدته في نوم

عميق فهي لم تعلم ماذا جرى أثناء نومها وإلا كان لها موقف آخر . . .

أقفل المفتش جميل الباب الخارجي خلفهم ، واصطحبهم معه في سيارة الشرطة ، مما أثار اهتمام خالد ، فساءل نفسه :

ـ هـل حضر والـدي خصيصاً ، وفي مثـل هذا الـوقت ، ليصحبنا معه ؟؟؟ . . . ماذا يريد أن يرينا ؟؟ . . .

* * *

خطأ المجرم

كان المفتش صفوة ينتصب وسط قاعة الاجتماعات الكبـرى في مديرية الأمن ، وقد غمر كيانه كله فرحة النصر بما حققه بعد نهار طويل مضنٍ ، صافح زواره بحرارة وقدم التحية لرئيسه وأبلغه قوله :

ـ جميع من طلبت حضورهم هنا . . .

سأله المفتش جميل :

ـ وهل وصل السيد وكيل النيابة ؟ . .

أجابه المفتش صفوة :

ـ إنه في المكتب ينتظر وصول سيادتك . . .

اتخذ المفتش جميل مقعده في صدر المكان ، وتوزع الحضور على المقاعد الخالية ، فيما بقي بجانبه مقعد خالٍ ، شغله وكيل النيابة بعد قليل .

بادرهم المفتش جميل بالقول :

ـ لقـد جمعتكم هنا لسببين . . . الأول بصفتكم الشهـود على مـا حدث ، أما الثاني فهو لتقديم الشكر لكم على حسن تعاونكم معنا . . .

والتفت المفتش جميل إلى المفتش صفوة وقال :

ـ أحضرهما إلى هنا . . .

غادر المفتش صفوة القاعة بنشاط ، وتغيب قليلاً ثم عاد يدفع أمامه رجلين ضخمي الجثة ، يشبهان بعضهما إلى حد كبير ، ما إن شاهدهما الحاضرون حتى حملقوا فيهما مشدوهين . . . وبلهجة آمرة صارمة ، قال المفتش جميل :

ـ تقدما إلى هنا . . .

كان العملاقان صورة طبق الأصل واحدهما عن الآخر ، حتى ثيابهما كانت متطابقة . . . الاختلاف الوحيد بينهما كان ذلك العرج الخفيف عند أحدهما ، ـ أمام منصة خاصة ، وقف الرجلان وقد كبلت أيديهما بأصفاد الحديد ، وبدأ وكيل النيابة استجوابه لهما ، فقال :

ـ سامي علي قباري شقيقه التوأم جابر علي قباري . . .

كان سامي بعكس شقيقه غاضباً ثائراً ، وبكل وقاحة قال :

ـ ماذا فعلنا حتى نلقى هذه المعاملة ؟ . . . ماذا تريدون منا ؟؟ . . .

حافظ المفتش جميل على هدوء أعصابه ، وأجابه ببرود بعد استئذان وكيل النيابة :

ـ نريد مشاهدة وجهك القبيح الكالح . . . ألم تعرف بعد ماذا نريد منكما ؟؟

تمادى سامي بوقاحة وهو يجيب بقوله :

ـ لا يهمني أن أعرف . . . كل ما أعرفه أنكم حملتموني وأخي إلى هنا . . . ولن يسعد سفارتنا هذا التصرف . . .

أجابه المفتش جميل :

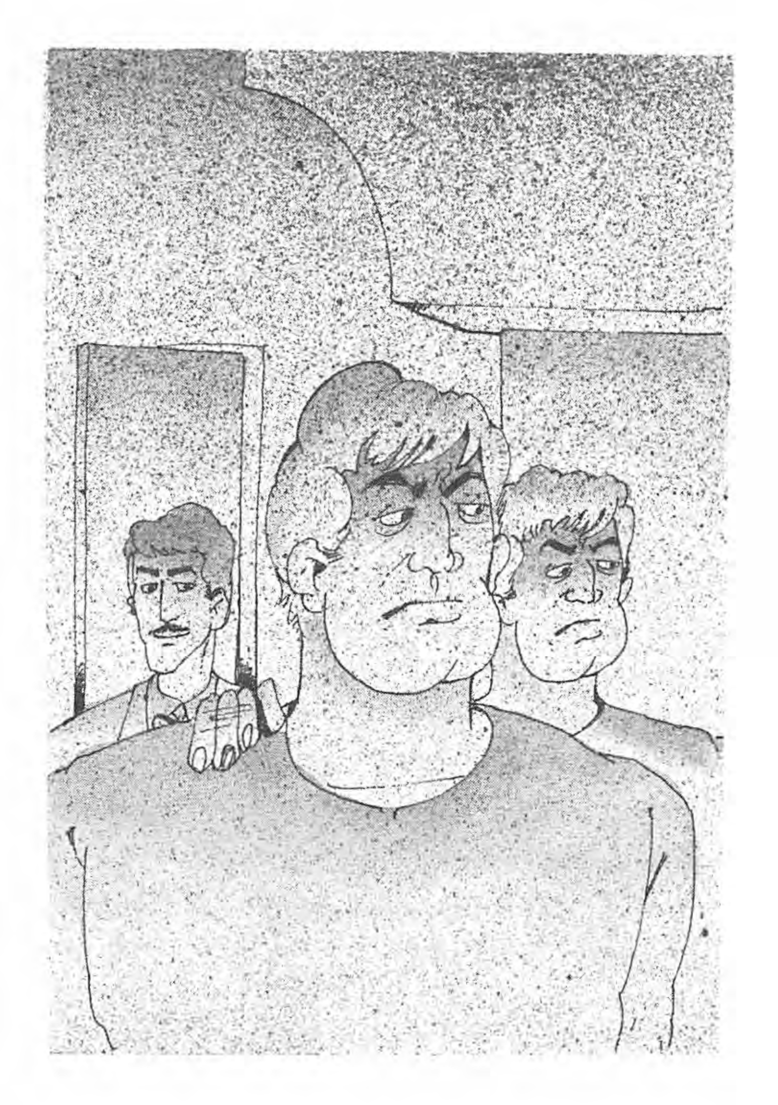
ـ هذه عادتنا كلما ألقينا القبض على مجرم قاتـل من أمثالك يحاول أن يتمادى في وقاحته . .

بـدأ وكيل النيـابة التحقيق الجـاد بعد أن طلب من سـامي التـزام الصمت ، فله الحق في الدفاع عن نفسه بعد تحديد الاتهام ضده ، ويدأ بسرد التهمة الموجهة ضد سامي وشقيقه ويسوق معها الأدلة الواحد تلو الآخر ، وكان مع كل دليل يقدمه تزداد نفس سامي انهياراً ، حتى سكن في النهاية . . . فقد أنهى حديثه بالقول :

ـ يمكننا الآن تلخيص الاتهام على الصورة التالية :

« سامي قباري وشقيقه جابر ابنا التاجر المتوفى علي قباري ، والذي توفاه الله إثر نوبة قلبية أصابته عندما تخلى عنه شريكه السويدي . . . ولما كانت زوجة علي سويدية الجنسيـة ، فقد سعت للحصـول على الجنسية السويدية لولديها إضافة إلى جنسيتهما الوطنية ، وزرعت في نفسيهما الحقد على شريك والدهما الذي هرب من البلاد وخلف وراءه قائمة كبيرة بالديون التي أغرق فيها والدهما ، ـ فالشريك ، في نظرهما ، أصبح المسؤول عن موت أبيهما وضياع ثروتهما ، من هنا جاء الدافع بالانتقام ، وقررا العمل على تنفيذه . . .

على مدى ثلاث سنوات عرفا أن لشريك والدهما شاباً يمارس رياضة الطيران الشراعي ، وقد توفي الأب وأورث ولده الوحيد كل ما يملك وكان وقتها في سن الثامنة عشرة عندما سعى سامي للانضمام إلى النادي



الذي ينتسب إليه الطيار القتيل . . . ومنذ ذلك الوقت بدأ اتصاله به ، وهو يخطط للانتقام بنفس الوقت ، فقد اعتبر سامي نفسه شريكاً في هذه الثروة التي يتمتع بها الطيار ، فعمل جهده على كسب رضاه والحظوة عنده وسعى أن تكون تصرفاته مثالية جذبت عاطفة الطيار نحوه ، لدرجة أن الطيار صمم على اصطحابه معه ، كعامل لصيانة الطائرة ، وهو المهندس الميكانيكي البارع . . . وأخيراً حانت لحظة الانتقام ، وبدأ العد العكسي لتنفيذ الخطة . . .

ولسوء طالع صاحبنا سامي ، أن تحول مكان المهرجان الذي كان مقرراً إقامته في روما ، وأقيم هنا ، ورافق تيودور ، وهو الاسم الذي حمله سامي بعد نيل الجنسية السويدية ، الطيار إلى هنا ، ونجح كذلك في إلحاق أخيه جابر بالعمل في مطعم الفندق الذي تقرر إقامة المهرجان قريباً منه ليتمكن من تنفيذ جريمته دون أن يشك بأمره أحد . . . وصباح يوم المهرجان ، قدم جابر وجبة الإفطار للطيار المسكين ، بحضور النسر الصغير خالد ، وكانت من البيض المسلوق واللحم ، وهي وجبة الطيار القتيل المفضلة ، ولكن الجاني أغرقها بالتوابل والبهارات بعد مزجها بالمخدر القوي البطيء المفعول ، وهنا أظهر المجرم أنه كان دقيقاً في الإعداد لجريمته البشعة ، فقد سرى مفعول المخدر في الوقت الذي كان فيه الطيار يقوم بآخر الحركات المطلوبة وأعنفها ، كما شاهدتم أثناء العرض ، وهنا وجد الطيار نفسه تائهاً ، وفقد السيطرة على الطائرة ، وتعذر عليه توجيهها التوجيه الصحيح ، فهوت إلى الأرض

وتركت الطيار المسكين جثة هامدة . . .

وقبل أن يلقى حتفه ، حدث ما لم يتوقع هذا المجرم حدوثه ، فقد تفوه المغدور ببضع كلمات أرشدت المفتشين النشيطين ، جميل وصفوة ، في الكشف عن غوامض الجريمة ، فقد سمعا المغدور يقول ، « تيودور . . . لماذا قتلتني ؟ » . . . وأسلم الروح . . .

خارت قوى سامي ، أي تيودور ، ولم تقوَ رجلاه على حمل جسمه الثقيل ، فطلب السماح له بالجلوس ، فقد انهارت قواه تماماً قبل أن يتم وكيل النيابة بقية كلامه . . . وبعد لحظة راحة ، تابع الوكيل سرد الاتهامات الأخرى الموجهة إلى التوأمين المجرمين ، فقال :

ـ ما اكتفى المجرم بهذا العمل البشع ، بل سعى إلى قفص الاتهام برجليه ، فقد علم في مبنى إدارة المطار ، بشكوك المفتش صفوت في أمر مساعد الطيار القتيل ولم يكن يعلم من هو ، فلحق بالمفتش إلى منزل المفتش جميل ، بعد أن راقبه عن كثب ، وحاول إسكاته بالقضاء عليه من بندقية قناصة جهزها بكاتم للصوت ، وهذا أيضاً ، يظهر عراقته في فن الإجرام . . ولما لم تفلح محاولته هذه ، حاول الانتقام بقسوة ووحشية أكبر بأن زرع قنبلة موقوتة اكتشفها هؤلاء الأبطال في الوقت المناسب ، بعد أن انتحل شخصية الحارس المكلف بحراسة منزل المفتش جميل احتياطاً للأمر ، ولكن العناية الإلّهية حفظت هؤلاء الأبرياء ، ونجتهم من شر هذا المجرم الخسيس ، فقد تنبه كلبهم العظيم لرائحة القنبلة الموقوتة وكشف أمرها . . . فأبطل مفعولها بفضل

سهر رجال الأمن الأشاوس . . .

والآن ، كيف كشف المجرم عن نفسه ؟ بل كيف ترك ثغرة نفذ منها التحقيق ؟ . . . كانت العناية الإلّهية أقوى من كل تصوراته وأفكاره السوداء ، فإن العرج البسيط في رجل توأمه جابر هو الذي فضح كل هذه القضية ، فكان يتركه في أماكن معينة يثبت فيها وجوده ، أو يتناوب معه في ذلك ، حين يريد تنفيذ إحدى جرائمه ، معتمداً على الشك بمعرفة أخيه التوأم الذي يشبهه إلى حد بعيد كما ترون . . . ولكن وجود تلك العاهة التي لم يفطن لها المجرم ، كان نعمة كبرى في كشف الحقيقة التي تسمعونها الآن . . .

ثم اتجه الوكيل بالسؤال إلى التوأمين ، فقال :

ـ هل تعترفان بما نسب إليكما ؟ . . .

كان سامي في حالة من الانهيار التام لم يسعه معها الصمود ، فاعترف بما نسب إليه ، وانتهت مهمة المفتش عند هذا الحد ليسلمهما للمحقق العدلي . . .

بعد شهادة سريعة من الأذكياء خصوصاً خالد الذي رافق بعض فصولها ، انصرفوا مع المفتش جميل في سيارته الخاصة عائدين إلى المنزل ، وفي الطريق هتف وليد بفرح :

ـ انتصار ساحق للعدالة . . .

أجابه عصام :

ـ أجل للعدالة الإلّهية التي نجتنا من كارثة كادت تودي بحياتنا

جميعاً . . .

كانت ليلى تمدح المفتش بقولها :

ـ الرائع يا عمي كيف اتجه تفكيرك إلى وجود الشقيق التوأم . . . لم يخطر أمره على بال أحد ؟ . . .

ضحك المفتش وقال ، وهو ينظر إلى خالد :

ـ ومع ذلك ، فبينكم شيطان فكر في هذا الأمر . . .

ثم تابع وسط ذهولهم قائلاً :

ـ . . . فقد تنبه خالد إلى وجود الشبيه ، دون تحديد ، ولكنه لم يحسم الأمر . . .

فغروا أفواههم قبل أن تقول ليلى معاتبة مؤنبة :

ـ كنت تعرف الحقيقة يا خالد وكتمت الأمر عنا ؟؟ . . .

ابتسم خالد وقال معتذراً :

ـ صدقيني . . . خشيت إخباركم بها فتسخرون مني . . .

تمت

* * *
* *
*

للأطفال والفتيان

- سلسلة أحسن القصص
- سلسلة حكايات النفائس للأطفال
- سلسلة الكون والحياة
- سلسلة المغامرين الأذكياء
- سلسلة صور من حياة الصحابة
- سلسلة مآثر الصحابة
- سلسلة العصبة الخفيّة
- سلسلة برهوم
- سلسلة المغامرين ١٣
- سلسلة زامبو

طبع في دار النفائس - ص.ب: ١١/٦٣٤٧ - هاتف: ٨١٠١٩٤ - بيروت